مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(تيطس ٣:٨–١٥)

يا ولدي تيطُس صادقةٌ هي الكلمةُ وإيَّاها أريدُ أن تقرِّرَ حتى يهتمَّ الذين آمنوا باللهِ في القيامِ بالأعمالِ الحسنةِ. فهذه هي الأعمالُ الحسنَةُ والنافعةُ* أمَّا المباحثاتُ الهَذَيانيَّةُ والأنسابُ والخصوماتُ والمماحكاتُ الناموسيَّةُ فاجتنبها. فإنَّها غيرُ نافعةٍ وباطلةٌ* ورجلِ البدعةِ بعدَ الإنذارِ مرَّةً وأخرى أعرِضْ عنهُ* عالِماً أنَّ مَن هو كذلك قدِ اعتَسفَ وهوَ في الخطيئةِ يقضي بنفسِهِ على نفسِهِ* ومتى أرسلتُ إليكَ أرتِماسَ أو تيخيكوسَ فبادِرْ أن تأتيَني إلى نيكوبولِسَ لأنّي قد عزمتُ أن أُشتِّيَ هناك* أمَّا زيناسُ معلِّمُ الناموسِ وأبُلُّوسُ فاجتهد في تشييعهما متأهّبين لئلاّ يُعوزَهما شيءٌ* وليتعلَّم ذوونا أن يقوموا بالأعمالِ الصالحةِ للحاجاتِ الضروريَّةِ حتَّى لا يكونوا غيرَ مثمرين* يسلِّمُ عليكَ جميعُ الذينَ معي* سلِّمْ على

القديس سمعان اللاهوتي الحديث

وُلد القديس سمعان اللاهوتي الحديث، الذي تُعيِّد له الكنيسة المقدَّسة في الثاني عشر من شهر تشرين الأول، في مدينة غلاطية من أعمال آسيا الصغرى (تركيا الحالية) سنة ٩٤٩ للميلاد. أبواه كانا من الأشراف ذوي الجاه والنفوذ، والزمن كان واحدة من ألمع الحقبات في تاريخ بيزنطية.

عندما قارب سمعان، وكان اسمه قبل الرهبنة جاورجيوس، الحادية عشرة من عمره انتقل به والده إلى القسطنطينية لتحصيل العلوم على أمل إلحاقه بالبلاط. أنجز سمعان الشاب ما يوازي في أيامنا الصفوف الثانوية مكتفياً بها رافضاً العمل في البلاط الإمبراطوري. يُستشرَف من كتاباته أنه سلك في تلك الحقبة سلوك شباب المدينة، بما فيه من تهاون ودنيويات، لكن عيشته تلك ما كانت تشبعه ولا تكفيه. في إحدى تأملاته اللاحقة يتذكر القديس سمعان تلك الأيام فيقول: «لقد رميت بنفسي طوعاً خارج ملكوتك، وانحدرت إلى أعماق الهاوية... لكنك بعمق رحمتك الذي لا يُسبَر انتشلتني وأسبغت عليّ أشرف الكرامات».

متأثراً على ما يبدو بمطالعاته من الكتب الروحية وسِيَر القديسين، انكشف أمام الشاب بؤس حاله وجدّ يبحث عن مرشد قديس يهديه سواء السبيل ويصالحه مع الله.

أُحبط الشاب كثيراً في بداية بحثه ولم ييأس، حتى وجد ضالته في شيخ جليل من رهبان دير استوديون، وكان اسم الشيخ سمعان. بقي الشاب يعمل في العالم وراح يلتقي أباه الروحي الجديد بانتظام ويلتزم تعاليمه بغيرة لافتة. فيما كان يقرأ في كتاب أعطاه إيّاه الشيخ، وقعت عينه على جملة تقول: «إذا كنت تنشد الشفاء أصغِ إلى ضميرك، كل ما يقوله لك افعله، فتجد منفعة لنفسك». لا شك أنه كان لهذه الكلمات أشد الوقع في نفسه، وبقي صداها يتردد في مواعظ عديدة للقديس سمعان، كتبها بعد سنوات. وتطبيقاً لما قرأ، التزم الشاب باندفاع وحماسة وبات يطيل فترات الصلاة وفحص الذات في الليل، مع استمراره في عمله خلال النهار. في لياليه هذه كان يصلّي ودموعه تغسل وجنتيه، وكأن الرب واقف أمامه بالجسد، وسمعان يصرخ كالأعمى (مرقس ١٠:٥١)

العدد ٢٠٠٤/٤٢

الأحد ١٧ تشرين الأول

أحد آباء المجمع المسكوني السابع

تذكار القديس النبي هوشع

والقديس الشهيد في الأبرار

إندراوس المدفون في كريسس

اللحن الثالث

إنجيل السَحَر التاسع

الذين يُحبُّوننا في الإيمان.
النِّعمةُ معكم أجمعين. آمين.

الإنجيل

(لوقا ٨: ٥–١٥)

قال الربُّ هذا المَثَل. خرجَ الزارعُ ليزرعَ زرعَهُ* وفيما هو يزرعُ سقطَ بعضٌ على الطريقِ فوُطِئَ وأكلتهُ طيورُ السماءِ* والبعضُ سقطَ على الصخرِ فلمَّا نبت يَبِسَ لأنَّهُ لم تكنْ لهُ رُطوبةٌ* وبعضٌ سقطَ بينَ الشوكِ فنبتَ الشوكُ معهُ فخنقهُ* وبعضٌ سقطَ في الأرضِ الصالحةِ فلمَّا نبتَ أثمر مئةَ ضِعفٍ* فسألهُ تلاميذهُ ما عسى أنْ يكونَ هذا المَثَل. فقال لكم قد أُعطِيَ أنْ تعرِفوا أسرارَ ملكوتِ اللهِ. وأما الباقون فَبِأمثالٍ لكي لا ينظروا وهم ناظِرونَ ولا يفهموا وهم سامعون* وهذا هو المَثَلُ. الزرعُ هو كلمةُ اللهِ* والذين على الطريقِ هم الذين يسمعون ثمَّ يأتي إبليسُ ويَنزِعُ الكلمةَ من قلوبِهم لئلاَّ يؤمنوا فيَخْلُصوا* والذين على الصخرِ هم الذين يسمعون الكلمةَ ويقبلونها بفرحٍ ولكن ليس لهم أصلٌ وإنَّما يؤمِنون إلى حينٍ وفي وقتِ التجربةِ يرتدُّون* والذي سقطَ في الشوكِ هم الذين يسمعونَ ثمَّ يذهبون فيختنِقون بهُمومِ هذه الحياةِ وغناها ومَلَذَّاتِها فلا يأتون بثمرٍ* وأمَّا الذي

طالباً البصر لروحه.

يروي في إحدى مواعظه التعليمية انه بينما كان منتصباً أمام ربه ليلاً يردد من القلب «يا الله تحنّن عليّ أنا الخاطئ»، نزل عليه نور ساطع عَذْب ملأ المكان كله. إذاك ما عاد الشاب يرى إلاّ النور، وما عاد يعرف أين هو. شعر أنه ينفصل عن العالم وما فيه من أفكار أو انفعالات، شعر أنه يمتلئ نوراً غير مادي وفاضت نفسه غبطة وعيناه بالدموع. ثم ارتفع ذهنه إلى السماء فعاين نوراً أكثر سطوعاً وبجانبه «الشيخ الملائكي»، أبوه الروحي. عبرت الرؤيا وعاد الشاب إلى نفسه، مملوءًا بالغبطة والذهول، وازدادت الدموع تنبع من عمق قلبه وازداد قلبه عذوبة.

لكن هذه الحال الروحية الرائعة، التي يعزوها القديس إلى صلوات أبيه الروحي، لم تدم طويلاً. فما لبث الشاب أن عاد إلى حياته الدنيوية الأولى، والتلهّي بمزيد من التراخي عن ذي قبل.

في مواعظه اللاحقة ثمة ما يدل على أنه، طيلة هذه الفترة التي دامت قرابة السبع سنوات، لم ينقطع عن أبيه الروحي. يقول القديس إن «قلبه البائس لم يفرغ من الحب لأبيه الروحي والثقة به»، وإن صلوات الشيخ ما انقطعت من أجله. نشير هنا إلى أن في علاقة قديسنا بأبيه الروحي، في كل مراحلها، تعليماً بالغ الوضوح حول أهميّة ونوعية العلاقة مع الأب الروحي في تقليدنا الكنسي. في نهاية الأمر قرر سمعان الخروج من العالم واعتناق الحياة الرهبانية. فانضم مبتدئًا إلى جوار أبيه الروحي وهو في السابعة والعشرين، وانطلق يستميت طاعة ونسكاً وجهادات. علاقته بأبيه الروحي أثارت عليه بعض الرهبان، لعدم توافقها مع النظام الديري على ما قالوا، فاستدعاه رئيس الدير مخيّراً إياه بين ترك أبيه الروحي أو مغادرة الدير. سمعان آثر الخيار الثاني لإيمانه أن الله نفسه اختار له هذا الأب الروحي، فانتقل إلى دير القديس ماما المجاور حيث قبِل الإسكيم الرهباني وسيم كاهناً.

إن هي إلاّ ثلاث سنوات حتى رقد رئيس دير القديس ماما فانتخب الرهبان سمعان رئيساً عليهم، وشرع ينهض بالدير الخرب بناءً وترميماً. يقول كاتب سيرته إنه كان يعلّم رهبانه أصول الحياة الرهبانية بلا كلل، بالأقوال قليلاً وكثيراً بالأفعال. كان الأب الروحي لأخويته كلها. مستلهماً مثال أبيه الشيخ، حمل القديس سمعان كل واحد من أبنائه بحرارة في قلبه، علّه يصل بهم إلى معاينة الله والامتلاء منه. لكن حرارة تعاليمه وإصراره على بلوغ الأسمى، أمست للرهبان لغة غريبة وطريقاً عسرة المسالك، فتأفف كثيرون منهم وباتوا يتهمونه سراً بالهذيان بل وبالهرطقة. حتى إن بعضهم حاولوا الاعتداء عليه أثناء احتفاله بالقداس الإلهي، لكن هدوء نفسه ردعهم. حاول هؤلاء تأليب البطريرك على رئيسهم القديس، فكان لهم عكس ما أرادوا وقرر البطريرك نفيهم جميعاً لكنه عاد عن قراره بفضل توسلات القديس سمعان، الذي أعاد المتمردين إلى الشركة بصبره وطيبته. وبقي القديس طويلاً يواجه بألم ومحبة نوايا بعض رهبانه السوداء التي ما وقفت عند حد. سنة ١٠٠٣، هاجمه استفانوس أسقف نيقوميذيا المستقيل، النافذ في المحيط البطريركي، متهماً إياه بالشذوذ عن الإيمان القويم. ذلك لأنه كان من أصحاب اللاهوت النظري ولم يفهم صوفية سمعان. وبقي قديسنا يصر على أن معرفة الله لا تُبلغ إلاّ بتطهير النفس وبفعل الروح القدس.

سقطَ في الأرضِ الجيِّدةِ فهم الذيـن يـسـمـعـونَ الـكـلـمـةَ فـيـحـفـظـونَـهـا فـي قـلـبٍ جـيّـدٍ صـالـحٍ ويُـثمرون بـالـصـبر» ولمَّا قال هذا نادى مَن لهُ أُذنانِ للسمعِ فليسمعْ.

تأمل

إذ قد سمعنا مَثَل الزرع فما بالنا لا نعتني بحبوب الـتـعـالـيـم الـمـزروعـة فـي أراضـي عـقـولـنـا وخـمـيـر الأقوال الروحيَّة الموضوع في دقـيـق أذهـانـنـا ونـكـون دائـمـاً مـتـفـهّـمـين مـعـانـيـهـا باحثين عن غوامضها ليثمر الواحد عندنا مئة ضعف. ولا يـخـفـى ان أصـنـاف الأثـمـار كـثـيـرةٌ ولـكـن لـيـسـت كـلـهـا مختصَّة بتفهُّم ما نقرأُهُ في الكتب بل نحتاج مع ذلك إلى الاجتهاد في تهذيب سيرتنا والإرشاد لأنـاس كـثـيـرين. وكـمـا ان الأولاد الـصـغـار يبتهجون برؤية التماثيل الـمـصـنـوعـة مـن الـخـشـب والشمع كـالخيل والطيور وصُـوَر الـعـرائـس الـمـزيَّـنـة وغير ذلك فينعكفون عليها ويجتهدون في تحصيلها وهـم لا يـفـعلون كذلك عند مشاهدتهم الخيل والطيور والـعـرائـس الـحـقـيـقـيَّـة ولـو كـانـت مـزيَّـنـة بـالـمـلابـس الفاخرة والجواهر الثمينة، كـذلـك الـجـهَّـال الـذيـن لا يـلـتـفـتـون إلـى أوصـاف النفائس العظيمة السماويَّة تراهم يتمسكون بـالـدنـايـا

استمر الحاسدون في غيّهم وأخذوا عليه مخالفته للتقليد الكنسي بالإكرام الذي كان خصّصه لأبيه الروحي، وفي هذه أيضاً ما كان لهم من القديس أدنى تنازل. توالت الهجمات واشتدت، حتى سنة ١٠٠٥ حين استدعاه البطريرك سرجيوس الثاني طالباً إليه الإستقالة من رئاسة الدير مع الإحتفاظ بموقع الأب الروحي للرهبان. أربع سنوات مضت دون أن تهدأ الحرب، فحكم المجمع المقدس سنة ١٠٠٩ على قديسنا بالنفي إلى الضفة الغربية لنهر البوسفور حيث توحّد في منسك خَرِب على اسم القديسة مارينا. بعض محبّيه عمل على الدفاع عنه أمام البطريرك، إلى أن اقتنع هذا الأخير بقداسة الراهب المنفي وعرض إعادته إلى ديره، بل وتسميته متروبوليتاً على إحدى المدن الهامة، شرط أن يُعرض عن الإحتفال ليتورجياً بتذكار أبيه الروحي. «لا الدير ولا الغنى ولا الأمجاد الأرضية يمكنها أن تثنيني عن محبة المسيح يسوع وأبي الروحي»، أجاب القديس سمعان. بقي في منسك القديسة مارينا ١٣ سنة، حيث اجتمع حوله بعض الرهبان وما لبث أن تأسس هناك دير صغير فقير، صار محجّة لطالبي الهداية والإرشاد المنير.

في الثاني عشر من تشرين الأول، تناول القديس الشيخ الأسرار الإلهية وهو على الفراش. طلب إلى رهبانه أن يرتلوا خدمة التجنيز وهم حوله، وفي منتصف الخدمة رفع يديه الواهنتين وقال «أيها المسيح الملك، بين يديك أستودع روحي»، ولفظ الروح.

هذا القديس الذي خصه التقليد الكنسي بلقب «اللاهوتي»، كثالث ثلاثة بعد يوحنا الإنجيلي وغريغوريوس النزينزي، ما تعاطى اللاهوت النظري أبداً. لا بل ما انفك يعلّم أن الذين استناروا بالروح القدس وعاينوا النور الإلهي روحياً، وحدهم يمكنهم أن يتكلّموا عن الله. الأوقات الطويلة التي قضاها يتأمل خلالها في الكتاب المقدّس جعلت الكلمة الإلهية غذاءه وجاءت تعاليمه مملوءة بالاستشهادات الكتابية، المباشرة وغير المباشرة. صلواته الحارّة وتمسّكه بالأسرار الإلهية جعلته عشيراً للنور الإلهي، وأرته المسيح حياً في الكأس المقدسة. قلبه المغسول بالدم الإلهي والفائض حباً للمسيح وخرافه، جعله يكرِّر في تعليمه قائلاً: «لا يمكنني أن أترك الكتمان يطوي هذه الخيرات الفائقة الوصف».

تعليم الرب يسوع

(تابع)

«ها أنا أُرسِلُكُمْ كغَنَمٍ في وسطِ ذئابٍ. فكونوا حُكماءَ كالحياتِ وبُسطاءَ كالحمام» (متى ١٠:١٦).

في القسم الأول من الإصحاح العاشر من إنجيل متى، الذي شرحناه الأسبوع الماضي، يرسل الرب التلاميذ إلى البشارة بالملكوت ويعطيهم سلطان شفاء الأمراض وطرد الشياطين. كما انه يحثّهم على عدم الاهتمام بمعيشتهم «لأنَّ الفاعلَ مُستحقٌ طعامَهُ» (١٠:١٠). إلاَّ ان الرب وبعد أن شدَّدهم، أظهر لهم الشرور والإضطهادات التي سيتعرّضون لها. كل حامل للكلمة الإلهية ومُبشِّر بها هو على صورة حَمَل الله، ابن الله الوحيد. وكما كانت حياته على الأرض هكذا ستكون حياة كل من يحمل رسالته. سيكونون «كغنم في وسط ذئاب» كما كان هو الحمل الذي سيق إلى الذبح ولم يفتح فاه. وهذه هي حياة كل مسيحي حقيقي يسعى لنقل كلمة الرب إلى الآخرين إن عن طريق

الأرضيَّة والعلوم الباطلة كما يتمسَّك أولئك بالتماثيل المذكورة.

فلهذا ينبغي لنا أن نحصِّل من العلوم ما يظهر بهِ لأولئك فساد رأيهم من حيث يمكنهم أن يفهموا. لأن من الناس مَن يختار التنعُّم والسَّرَف واتّباع الشهوات العالميَّة حتى انهم إذ لم يمكنهم تحصيلها أو فُقد منهم شيءٌ منها تراهم يحزنون كحزن أولئك الصغار على فقد تلك التماثيل أو العجز عن تحصيلها. ولمثل هؤلاء يقول معلِّم الكنيسة لا تكونوا أطفالاً في آرائكم. يجب علينا أن نتشبَّه بالتجَّار وأرباب الزراعة في تصرُّفاتهم. فإن التجَّار يحافظون في أوقات رخص البضائع على ادّخارها وخزنها وينفقون الأموال في اثمانها ويخزنونها إلى الأوقات التي يقلُّ فيها وجودها فيربحون بها. وكذلك الزارعون فإنهم يختارون الأراضي الجيّدة فيحرثونها ويلقون فيها بذارهم وينتظرون أيام الحصاد ليأخذوا أضعافاً كثيرة. وأمَّا الذين يبيعون ما عندهم من البذار في أيام الزرع ويأكلون به ويشربون فإنهم يحزنون في أيام الحصاد حزناً شديداً ويندمون ندامةً عظيمة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

البشارة أو عن طريق العيش ليكون مثالاً لهم: «ليسَ التلميذُ أفضلَ مِن المعلِّمِ ولا العبدُ أفضلَ من سيِّده» (٢٤:١٠).

لا يمكن للمسيحي إلاَّ أن يكون كالحمل، ومتى صار ذئباً يكون قد خسر كل نعمة إلهية وانغمس في تيار الشر. يكفي المسيحي أنه مُرسل من الرب نفسه. قد يظن البعض ان هذا الأمر ضعفاً، لكن الرب قال للرسول بولس: «تكفيكَ نعمتي لأنَّ قوَّتي في الضَّعفِ تُكمَلُ» (٢كور ٩:١٢).

أن يكون الإنسان وديعاً كالحمل، لا يعني البتة أن يكون عديم التفكير. «كونوا حكماء كالحيَّات وبُسطاء كالحمام» (متى ١٠:١٦). على المُبشِّر أن يستعمل عقله وفكره ليعرف أين ومتى يجب أن يبشر، لكي لا يكون كمن يلقي الجواهر أمام الخنازير. كما انه إذا تعرَّض للإضطهاد فليهرب إلى مكان آخر. «ومتى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى» (متى ١٠:٢٣).

«ولكن احذروا من الناس. لأنَّهم سيُسلِمونَكم إلى مجالِسَ وفي مجامعهم يجلِدونكم. وتُساقونَ أمامَ وُلاة وملوكٍ من أجلي شهادةً لهم وللأمم... وسَيُسلِمُ الأخُ أخاهُ إلى الموتِ والأبُ وَلَدهُ ويقومُ الأولادُ على والديهم ويقتُلونهم وتكونونَ مُبغضينَ من الجميعِ من أجلِ اسمي.ولكن الذي يصبرُ إلى المنتهى فهذا يخلُصُ» (١٠: ١٧-٢٢). يحذر الرب الرسل وكل خليفة للرسل وحامل للبشارة، يحذِّرهم من الناس الذين سيسلمونهم إلى المجالس والمجامع، إلى مجامع اليهود ومجالس الأمم الأخرى. أي ان كل من يبشِّر بيسوع، في أي زمان ومكان سوف يكون عرضة للإضطهاد.

قد يكون الإنسان في عمله يعمل باستقامة حسب تعاليم الرب فيأتي من يستهزئ به بسبب استقامته. بالنسبة للرب ما هذه إلا مناسبة للشهادة ليسوع بأنه رب وإله. «من أجلي شهادة لهم وللأمم». الأمر الأفظع هو ان الإنسان المؤمن قد يتعرَّض للطعن من أقرب المقرّبين، من الإخوة والأهل والأصدقاء. كل ذلك لأن هذا الإنسان يبشِّر باسم يسوع. «وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمي». اسم يسوع هو الكلمة الفصل في اعتبار ما يتعرَّض له المؤمن اضطهاداً.

في هذا المقطع يشدِّد الرب سامعيه بأن لا يجزعوا في زمن التسليم والإضطهاد: «لأنَّكم تعطونَ في تلكَ الساعةِ ما تتكلَّمونَ به. لأنْ لستم أنتمِ المُتكلِّمينَ بل روحُ أبيكم الذي يتكلَّم فيكم» (١٠: ١٩ و٢٠). من يقرأ في سفر أعمال الرسل، قصة الشهيد استفانوس والرسول بولس، كما قصص الكثير من شهداء القرون الأولى يعي حقيقة وعد الرب لتلاميذه ولنا، بأن الروح القدس يتكلَّم فينا. المهم أن يصبر المؤمن ويثق بالرب لأن «الذي يصبرُ إلى المنتهى فهذا يخلُصُ» (١٠:٢٢). عندما كان يسوع على الصليب ميتاً عرياناً ظن الجميع ان كل شيء انتهى، لكن الكنيسة وُلدت من جنبه الطاهر، وحطم أبواب الجحيم وقام من بين الأموات وأقام الموتى منذ الدهر. المهم أن نكون مثل حمل الله واضعين رجاءنا على الله وقائلين له دوماً: «لتكن مشيئتك يا رب». وعندما يعود ابن الإنسان في مجده ليدين البشر جميعاً لا بد أن يقيمنا معه إذا كنا صابرين وواثقين به إلى المنتهى.

(يتبع)

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb